غبـــار فلسطين

مجزرة الفجر

أشلاء جباه ساجدة

مجزرة الفجر

أشلاء جباه ساجدة

هيئة التحرير

»مـن أصعـب المشـاهد الداميـة والمروعـة التـي مـرت علينـا اليـوم في مستشـفى المعمدانـي بغـزة بعـد المجـزرة الإسـرائيلية على مدرسـة التابعيـن كانـت لشـاب صغيـر يبلـغ مـن العمـر 16 عامـاً، وصـل إلينـا وجزئـه السـفلي مفتـت ومهشـم، يـده اليسـرى مبتـورة، و جـروح غائـرة وحـروق في أنحـاء جسـده. وأثنـاء إجـراء الجراحـة الطارئـة، صدمـت عندمـا وجـدت رأس شـخص آخـر محطـم بيـن عظـام سـاقيه المفتـت، لـم أتمكـن مـن التعـرف عليـه إلا مـن خلال الفـم والذقـن. كان مشـهداً يفـوق قـدرة القلـب والعقـل على التحمـل !ورغـم كل جهودنـا بإنقـاذه لكنـه فـارق الحيـاة على سـرير العمليـات بعـد نـزف شـديد لـم يتوقـف. للأسـف، هنـاك العشـرات مـن الإصابـات المشـابهة خطـورةً ترقـد الآن بيـن أروقـة المشـفى، وبـكل لحظـة تمـر نفقـد روحـاً جديـدة «. شـهادة د. فضـل نعيـم، مـن داخـل المستشـفى المعمدانـي في غـزة.

وقـال الدكتـور عـز الديـن اللولـو، وهـو طالـب مقيـم في المشـفى العمدانـي، في منشـور لـه بعـد المجـزرة، أن مئـة شـهيد ارتقـوا في مجـزرة المدرسـة ولـم يتعرفـوا على الجثـث بعـد ن اختلطـت بعضهـا ببعـض.

مدرسة التابعين مأوى ومسجد للنازحين

فجـر يـوم السـبت الموافـق 10 تمـوز/ يوليـو، وقـع، في مدرسـة التابعيـن، التـي تـؤوي مئـات النازحيـن النائميـن والمصليـن، ثلاثـة صواريـخ يـزن الواحـد منهـا ألفـي رطـل، غـارت بهـا الأرض، وتدمـرت الحيطـان والأسـقف، فمـا بـال الأجسـاد مـن لحـم ودم! تتكـون المدرسـة مـن طابقيـن اسـتخدمها الأهالـي؛ العلـوي يسـكن فيـه الأطفـال والنسـاء والشـيوخ، والسـفلي يتخـذه النـاس مسـجدًا تؤتـم بـه صلاتهـم. بينمـا تقـول إسـرائيل أنهـا تسـتهدف مقاوميـن في المدرسـة، عنـد الخامسـة إلا ربـع فجـرًا، فتقهـل مئـة شـهيد فيهـا بينهـم 11 طفـلًا و7 نسـاء، والبقيـة مـن الرجـال المصليـن السـاجدين.

أصـوات متقطعـة مخنوقـة لـم تقـو حتـى على البـكاء، راقبنـا الكثيـر مـن التقاريـر الصحافيـة؛ هنـاك،

وقف الصحافيون أو جلسوا على الأرض، وكلهم رددوا ذات الكلمات: لا يمكن وصف ما حدث، مجزرة لا يمكن وصفها، لا نعرف ماذا نقول، هذا فوق ما يمكن تخيله!

يقول أحدهم أن الأجساد لم تتبعثر أشلاء فحسب، بل تبخرت ولم يرُ لها أي أثر، رائحة الدماء انتشرت في كل المكان، وكل ما محيط بالمدرسة صار أحمر اللون. هرع الأهالي للملمة اللحم المتنائر وتعبئته بأكياس، على أن كل 70 كيلو غرامًا هو جثة، دون التعرف إلى أي أحد على الإطلاق ما عدا الجرحى الذين كانوا يجهزون أنفسهم للصلاة، أما الإمام والمصلين من خلفه فقد اختلطت أجزاؤهم بعضها ببعض.

ارتكب العدو المئات من المجازر بحق المدنيين منذ بدء الحرب، في الأسواق والمساجد والكنائس والمستشفيات والأسواق، ولكن استهداف المدارس ازدادت وتيرته خلال المرحلة الثانية من الحرب؛ إذ يقول للأهالي بيوتكم غير آمنوا فارحلوا، فما إن يستجمعون أشياءهم ويحاولون إيجاد مأوى لهم، في شارع أو خيمة أو مدرسة، حتى تقصف، وهم الآن يعلمون أن كل ادعاءات الاحتلال كاذبة. فلم يحذر الأهالي في مدرسة التابعين كما لم يحذروا في مدرسة خديجة ومدرسة أبو حسين والفلاح وأكثر من 340 مدرسة غيرها قصفت منذ بدء الحرب. وتبرير الاحتلال عند قصف كل مدرسة هو حجة المجرم الذي يهدف إلى قتل الأطفال والمدنيين والقول إن مقاومًا يختبئ بينهم.

علماء وأساتذة وأكاديميون مستهدفون

قال العدو أنه استهدف مجموعة من المقاومين وادعت أنهم يأتوون بالمدرسة، وهي تعلم تماما أنها مدرسة إيواء لا يلجأ إليها إلا من نزح من العائلات نساء وأطفالًا، وقد اتخذ الأهالي من الطابق الأولى مسجدًا يقيمون فيه صلاتهم، والطابق الثاني ليس فيه إلا النساء والأطفال النائمون.

أما صفوف المصلين فقد ضمت إمامهم وعالمهم وأستاذهم، ومنهم الشيخ محمد أبو سعدة مدير الأوقاف، وعبدالعزيز الكفارنة نائب رئيس بلدية بيت حانون، ود. يوسف الكحلوت، أستاذ اللغات في الجامعة الأسلامية ود. أشرف رفيق الغفري المتخصص في الدراسات الإسلامية.

وقال الناطق الإعلامي في عزة بأن 3 صواريخ يزن كل منها ألفي رطل ألقيت على مدرسة التابعين في حي الدرج في مدينة عزة.

«نساء مقطعات وأطفال محترقون... لم ينج أحد من المصلين... العالم كله يتفرج».

بعد سماع الانفجار فورًا ركض الأهالي إلى المكان «عند الفجر، لسا يا دوب بدنا نصلي، صوت هز الدنيا هزّ». ركضوا يجمعون الأشلاء والأجساد المفتتة، وقالوا إنهم بجمعونها في أكياس

وحيـن يجتمـع في كيـس نحـو 70 كيلوغرامًـا يعتبرونهـا جثـة، ولكنهـا بالتأكيـد أشـلاء تجمعهـا أشـلاء تناثـرت إثـر سـقوط أطنـان مـن المتفجـرات على أجسـاد مصليـن سـاجدين، جباههـم تلامس الأرض وبقيـت كذلـك! وقـال الناطـق الإعلامـي في عـزة أن جثامين الشـهداء تبخـرت مـن شـدة الانفجـارات القنابـل المحرمـة دوليـا.

وقـف الصحافيـون مذهولـون، لـم يسـتطع أحـد منهـم نقـل الحـدث أو التعليـق عليـه، بينمـا هـرع الأهالـي لنقـل الأجسـاد المبتـورة إلـى المشـفى المعمدانـي الـذي يخلـو إلا مـن عـدد قليـل مـن الأطبـاء دون معـدات أو تجهيـزات. وأخـذ آخـرون يلملمـون قطـع الأجسـاد الطاهـرة التـي تناثـرت أجزؤعـا في كل مـكان.

«صحينـا ع صـوت ضـرب عالفجـر... ركضنـا لقينـا أشـلاء نـاس بريئـة كانـوا بصلـوا.. هـذه مدرسـة التابعيـن مدرسـة فيهـا نازحيـن لا شـأن لهـم، كل الشـهداء مدنييـن ليـس هنـاك مقـاوم واحـد بـل كل النائميـن أطفـال ونسـاء».

تقـول امـرأة تجلـس على الأرض: «نـاس مشـردة ولا مـكان آمـن... صحيـت أدور ولادي... لقيتهـم مقطعيـن... فـش ولا حـدا.. كلهـم تحـت الـردم اتقطعـوا».

ويقـول آخـر: «جيـت ع صـوت الضربـة، كلهـم مرمييـن مـا عرفنـا أي جثـة ولا الأشـلاء هـاي لميـن وهـاي لميـن، إيـش ذنبهـم قاعديـن بمدرسـة أيـواء، إيـش عملـوا!».

ورجـل يقـول: «عالخمسـة إلا ربـع سـمعنا الضربـة، جينـا لقينـا النـاس مرميـة ولا في جثـة كاملـة، إلـي في المتوضـأ إصابـات، أمـا إلـي في المسـجد كلهـم اتقطعـوا. المسـجد فوقيـه طابـق نسـاء وأطفـال فيـه نايميـن.»

وتقـول امـرأة كانـت تسـكن المدرسـة: «أنـا إلـي هـان 10 شـهور، كنـت أصلـي، سـلمت، إلا انضربنـا، قمـت أجـري أدور لقيـت أبـوي عليـه الـردم وجـوزي أشـلاء مـا في حـدا عايـش إلا ابنـي كان في المتوضـأ... «.

وطفلـة تقـول: «عالفجـر مـا قلنـا الله أكبـر الا الصواريـخ نزلـت، نـزل أخـوي يـدور ع أخـوي الثانـي وأبـوي، لقـي أخـوي أجريـه مقطوعـة، أبـوي وعمـي طلعوهم من تحـت الردم، مسـافة المستشـفى، قطـع نفسـهم راحـوا شـهداء»!

طفلك أخرى: «أخوي مريض سكري كان نايم ع زواية الغرفة فجأة اطلعت حوالي أحمر كله، والردم فوقي صرت أنادي ع أمي وأبوي»....

طفلة: «استشهد أبوي وعمي وولاد عمي وولاد خالي، كانوا سند وظهر إلنا بعد ما استشهد أخوي أول الحرب، كانوا زي إخوتنا والله انكسر ظهرنا بروحتهم»... تبكي بشدة...»كنا ندعي نموت مع بعض محدا يتحسر عالثاني أكم شهيد راحلنا من أول الحرب».

استهداف المدارس والمدنيين: هذا ما تفعله إسرائيل

منذ بدء حرب طوفان الأقصى السابع من أكتوبر 2023، قصفت إسرائيل أكثر من 342 منشأة تعليمية، معظمها مأهولة بالنازحين، بما في ذلك الجامعات، في قطاع غزة كجزء من تدميرها للبنية التحتية، وخصوصًا المؤسسات التعليمية، بهدف القتل أولًا؛ إذ توقف 625 ألف طالب في غزة عن التعليم منذ ما يقارب 10 أشهر، ونزح أكثر من 700 ألف طفل إلى مدارس الإيواء.

وحتى الآن دمرت إسرائيل ما يقارب ثلثي مدارس الأنروا، ما يعادل 70٪ منها، منها ما دمر تدميرًا كاملًا بما يقدر ب 53 مدرسة خلال 200 هجوم عسكري إسرائيلي غاشم، وتضررت أكثر من 388 مدرسة بشكل جزئي.

تذرعت إسرائيل في كل هجوم بأن المقاومة في غزة تختبئ في مدارس الإيواء، وأنها قاعدة لإطلاق الصواريخ من بين المدنيين في مناطق الإيواء والنزوح، ومن ذلك أعلنت وزارة التعليم في غزة أن 5500 طالبًا و209 موظفين تعليميين قتلوا، وأصيب 7259 طالبًا و619 معلمًا، وتضررت أكثر 388 مدرسة.

وأعلنت الأمم المتحدة أن 90 بالمئة من المباني المدرسية في غزة تُستخدم للمأوى وتقدر عدها ب 320 مبنى، وأن كل المدارس تعرضت للضرر الجزئي أو الكلي. هذا ويُفاد بأن عدد الطلبة في غزة أكثر من 625 ألف طالب وطالبة و22 ألف معلم ومعلمة كانوا يرتادون 563 مبنى مدرسيًا قبل الحرب.